المحاضرة الخامسة: المذهب الاسماعيلي من الدعوة إلى الدولة

تعد الفرقة الاسماعيلية إحدى فرق الشيعة، ويذهب بعض المؤرخين إلى ان التشيع انطلق بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وقت الصراع الذي دار بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في قضية القصاص من قتلة عثمان، والتشيع بمفهومه الأصلي اللغوي هو المشايعة والمناصرة والإتباع، ثم انطبق هذا المصطلح على أنصار علي رضي الله عنه وشيعته، ونؤكد على أن هذا المصطلح ليس له أي علاقة بالجانب الفكري ولا العقدي، بل كان التشيع لعلي بدعوى المناصرة له والتحزب السياسي لآرائه دون التطرق إلى العقائد والمعتقدات التي يشترك فيها الطرفان دون أي فوارق دينية أو مذهبية بينهما ، وشيئا فشيئا تطور التشيع وأخذ يبتعد عن معينه الأول ونهض به رجال طامعون طامحون لأهداف دنيوية فبدلوا وغيروا واتخذوا من التشيع ذريعة لتحقيق أهدافهم في السلطة والحكم، ثم انخرط في صفوف التشيع بعد ذلك أبناء اليهودية المتحطمة في يثرب وخيبر كعبد الله بن سبأ وأبناء النصرانية المهزومة في تبوك ابتداء والشام انتهاءً، وأبناء الفرس المكسورين في القادسية وفارس، وكل أعداء الاسلام الذين يتمنون ضموره وسقوطه وأنى لهم ذلك.

وقد استغل هؤلاء للأسف بعض الطالبيين(من نسل علي رضي الله عنه) ليتخذوهم وسيلة لتحقيق مآربهم، في حين عارضهم كبار الطالبيين الأخيار من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم تبرؤوا من كل متشيع يفارق جماعة المسلمين بعد ان اقتنعوا أن التشيع الذي ابتدعوه يخالف تعاليم الاسلام والعقيدة الصحيحة خاصة بعد أن خاض أصحابه في الرجعة والغيبة والحلول والتناسخ وإجراء النبوة ونزول الوحي ومعرفة الغيب وامتلاك القدرة والتحكم في الكون، وخوضهم في عرض رسول الله صلى الله عليهم وسلم وقدح أصحاب رضوان الله عليهم أجمعين ومن أئمة آل البيت المعارضين للفكر الشيعي علي بن الحسين زين العابدين الورع الزاهد رضي الله

عنهوبقي من خلفه منهم على حاله إلى مجيء جعفر بن محمد الباقر الملقب بالصادق رضي الله عنه ولم يكن موقفه يخالف موقف أبيه الباقر وجده زين العابدين في محبة أصحاب النبي وعدم الخروج على الجماعة متوليا أبا بكر وعمر ويترضى عنهما كما نفى أحقية آل البيت في الخلافة وأنهم كغيرهم إن ظهر منهم من هو أهل لها فبيعته كبيعة باقي أئمة المسلمين.

استغل الشيعة الغلاة ظروف العالم الاسلامي بعد سقوط دولة الأمويين وانشغال العباسيين بتوطيد حكمهم فاشتغلوا ببث سموم الفتنة والفساد من مركزهم بكوفة العراق وتنظيم جمعيات سرية تنشر أفكارهم الباطلة بحيث التف سفهاؤهم على جعفر الصادق وأصبحوا ينشرون الأكاذيب باسمه وهو منهم بريء وكان على رأس هؤلاء أبي الخطاب مولى بني أسد وهو تلميذ جعفر الصادق المتبرئ منه، والذي له صلة بالاسماعيلية وتكوينها العقدي والفكري فأبي الخطاب نظر للفكر العقدي الاسماعيلي ومن عقائده الفاسدة أن لكل زمان رسولين صامت وناطق فمحمد صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه ناطق وأن الله يحل في الابدان ومن عرف الامام وضع عنه الاعمال وأن لكل ظاهر باطن وأن الأئمة من آل البيت واجب طاعتهم على كل الخلق وغير ذلك من التخاريف والأباطيل.

لقد كان أكبر دعاة لأفكار أبي الخطاب أبو شاكر ميمون القداح وابنه عبد الله الذين اتخذوا من سلمية بالعراق مركزا لنشر عقيدتهم، وقد حاول مؤرخو الشيعة كالقاضي النعمان المغربي وإدريس القرشي إنكار علاقة الاسماعيلية بأبي الخطاب ونسبوا الفرقة لاسماعيل بن جعفر الصادق –الذي ربما استهوته أفكار الخطابية كي يصنه بها مجدا- كل ذلك بغرض تنال رضى العامة من الناس لكنهم لم يفلحوا واكتشف تدليسهم، وتشير الروايات إلى أن ميمون أرسل الدعاة إلى الأقاصي لنشر الأفكار الخطابية .

وقد جعل كل من اسماعيل بن جعفر الصادق عبد الله بن ميمون القداح كفيلا على ابنه وعلى دعوته وإقامة الحجة له فأظهر عبد الله

دعوة الاسماعيلية وانتشر فكرهم بعد ذلك فسيطروا على عديد الأمصار، القرامطة بالعراق، وسيطر على اليمن الحسن بن فرج بن حوشب الملقب بمنصور اليمن وتسلط عبيد الله الشيعي الذي تلقب بالمهدي على المغرب واسس الدولة الاسماعيلية بها.(الاسماعيلية تاريخ وعقائد-إحسان ظهير) والانتشار ذلك كان على عهد أحد أحفاد الامام اسماعيل بن جعفر الصادق وهو الامام الحسين بن أحمد الذي وصلت أفكار الاسماعيلية على عهد إلى المغرب عن طريق أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح الذي أرسل داعيان إلى المغرب هما الحلواني وأبي سفيان، وليس بصحيح ما يدعيه البعض من أن الذي أرسل الداعيان هو جعفر الصادق رضي الله عنه لأن عبيد الله الشيعي الذي أسس الدولة الاسماعيلية بالمغرب قد التقى سنة 278هـ بحجاج كتامة في موسم الحج بمكة ومن الحجاج من أخذ عن الداعيين فلا يعقل أن يعاصر هؤلاء جعفر الصادق المتوفى سنة 145هـ، ومن ذهب إلى ذلك غرضه ربط الدولة الاسماعيلية بالمغرب بالامام جعفر الصادق لتكتسي بذلك شرعية آل البيت الأطهار.

كما أشار آخرون إلى نسبة الداعيين إلى ابن حوشب منصور اليمن، والأكيد عند معظم المؤرخين أن ابن حوشب عندما سمع بموت الداعيين بالمغرب فام ببعث الداعي أبي عبد الله لنشر الدعوة بعدهما وقال له: "إن أرض كتامة بالمغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك" وهذا يؤكد أن ابن حوشب له علاقة وطيدة بالداعيين ونرجح أنه هو من أرسلهما، وتابع عملهما وأحوالهما بالمغرب حتى سمع بموتهما، وكان يرى في المغرب الأرض الخصبة بدليل إصراره على إعادة بعث أبي عبد الله الداعي لها بغرض التمهيد لظهور عبيد الله الشيعي الذي سيؤسس الدولة الحلم.

وصل الداعيان إلى المغرب وبدأا في نشر دعوة الاسماعيلية بالمغرب، فنزل أبو سفيان بمكان يقال له "تالا" والحلواني نزل بـ" الناظور" .

استغل أبو عبد الله الداعي تأثر بعض الكتاميين خاصة بالأفكار الاسماعيلية التي بثها فيهم الداعيان، وقد وضع الداعي خطة للقاء الوفد الكتامي أثناء قدومهم إلى مكة حجاجا لبيت الله الحرام وتظاهر بكون اللقاء كان صدفة، فخالطهم وجالسهم وأسمعهم ما تشرئب إليه قلوبهم، فسارت الخطة كما سطر لها، حيث ألحوا عليه بالقدوم معهم إلى المغرب والإقامة بينهم غير أنه تظاهر بأنه متوجه إلى مصر بغرض التعليم فرافقهم في السير إلى مصر وفيها أكثروا عليه بالإلحاح في القدوم معهم إلى المغرب حتى قبل منهم وسار معهم إلى حيث يريد.

وبنشاط هؤلاء الدعاة وحسب القاضي النعمان فقد اعتنق مذهبهما عدد من أهل مرماجنة والأربس وكتامة ونفزة وسماتة، وارتكز أسلوب الدعاة في البداية على الاقناع السلمي ودخلوا إلى قلوب أهل المغرب من البربر بدعوى اتباع آل البيت ونصرتهم وأظهر أبي عبد الله الداعي خلقا كبيرا ومعاملة حسنة وسماحة لا نظير لها وفصاحة رهيبة تأسر القلوب فتعلق به كل من خالطة وجالسه، فكثر أتباعه من كتامة وغيرها من قبائل البربر بمنطقة فج الأخيار المكان الذي نزل به ، واعتمد الداعي على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف على ما حرم الله من الخمور والزنا والتعامل بالربا وغير ذلك من تعاليم الدين، وبذلك هيأ الداعي بلاد كتامة لظهور عبيد الله الشيعي وتأسيس دولته

مصادر ومراجع المحاضرة الخامسة

1- أبو العرب: طبقات علماء افريقية وتونس.
2- أبو بكر المالكي: رياض النفوس، ج1.
3- الدرجيني : الطبقات ،ج2
4- الشهرستاني: الملل والنحل، ج1
5- ابن خلدون: المقدمة،
6- نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الاسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري.
7- سهيل قاشا: المعتزلة ثورة الفكر الاسلامي الحر
8- **إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2005.**

9- منى حسن محمود حسانين، جامعة عين شمس 2007، مقالة في الانترنيت
10- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي.
11- عبد اللطيف الحفظي: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة
12- جوزيف فان آيس: علم الكلام والمجتمع، ج1.ج2
13- جوزيف فان آيس: نشأة علم الكلام في الإسلام، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد25، 1395هـ/1975م
14- المنصف قوجة : تاريخ الإباضية الديني والسياسي (من القرن الأول إلى القرن السادس هجري)،
15- علي عبد الفتاح المغربي: الفرق الإسلامية مدخل ودراسة،
16- كرلو ألفونسو نلينو: الصلة بين مذهب المعتزلة ومذهب الإباضية المقيمين في افريقيا الشمالية، مقالات مجموعة في كتاب "التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية (دراسات لكبار المستشرقين)"،